

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فقه اللغة وسر العربية

### مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم ولم يجعل له عِوَجاً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الناس قاطبة، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

فقد خصّ الله سبحانه وتعالى اللغة العربية بعظيم الشأن، حينما أنزل بها الفرقان على قلب محمد ﷺ، ويبدو أنه من حكمة الله عز وجل ذلك أن كانت اللغة العربية عالية في مكانتها، سَامِقَةً في بيانها، راقية في معانيها، حتى كانت لغة البيان في أمة يخلبُ لُبُّها البيان، فطارت شهرتها في الآفاق مع انتشار الدعوة الإسلامية، وراح يتحدث بها الأعجمي والعربي على حدّ سواء.

ومن فضائل الله جل شأنه في هذا أن كان القرآن الكريم، هو المفتاح في العلوم كافة، فيمّم شطرك أتى شئت تَجِدُ أنّ القرآن العظيم هو الأسّ في نشأته، فترى العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، وكلها نابع من اهتمام المسلمين بقرآنتهم العظيم.

وعلم العربية أحد هذه العلوم التي نشأت في أحضان كتاب الله العزيز، ولا يخفى علينا أن السبب في ذلك هو خوف العرب المسلمين على قرآنتهم ولغتهم من أن يتسرب إليها اللحن الذي بدأ يتفشى بعد عصور الاحتجاج إثر دخول العجم في الدين الإسلامي، وانتقال الحياة من حياة بدو إلى حياة حضر يعمّها الرخاء والنعيم؛ مما أورث اللغة شيئاً من اللطافة بحيث بُدِيَء بالتساهل في اللحن فيها، مما حدا بالغيورين على العربية من التفكير فيها وفي نظامها البديع، فكان علم النحو

وكان علم اللغة أو ما يسمى فقه اللغة باعتبار أن اللغة كانت فقهاً أسوةً بالعلوم الدينية آنذاك.

والتصنيف طال العلوم شتى ولا سيما علوم العربية بوصفها قريبة من كتاب الله عز وجل، ومن الطبيعي أن يكون لفقه اللغة حَظٌّ من هذا بل إن له حَظًّا جيداً لا يمكن إغفاله لعلاقته المباشرة باللغة.

ونحن إذ تعرضنا لذلك فإننا بصدد تقديم كتاب من كتب القدماء الأفاضل الذين سهروا الليالي حتى قضت مضاجعهم وهم ينافحون عن العربية ضيمها.

وهذا الكتاب هو كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي رحمه الله تعالى، ونبدأ هذه المقدمة بشيء من تاريخ هذا المؤلف الجليل وحياته ومؤلفاته وكتابه هذا.

### سطور في الثعالبي:

أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، النيسابوري، والثعالبي لقبه؛ لصنعتة التي كان يعمل بها، وهي خياطة جلود الثعالب.

عاش أبو منصور الثعالبي بنيسابور، وأدب الصبيان في كُتَابها وكان ذا حفظ كثير، حتى إنه لا تقع عينه على شيء إلا التهمته أفكاره وسريرته بالحفظ، فعرف بحافظ نيسابور. وهذا أسند إليه حجيته في كل ما يرويه، وثقة الغير به فيما ينقل وتمكنه مما ينقل، ونجد في ذلك أن الطلاب قد قصدوه من كل حدبٍ وصوبٍ.

ولعل من أهم ما يدل على علو كُعب الثعالبي، وارتفاع شأنه بين علماء عصره، ما قيل فيه من بعد.

فالباخري صاحب دمية القصر قال فيه: «هو جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور، لم تر العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله».

وقال الحصري القيرواني فيه - وذلك في زهر الآداب -: «وهو فريد دهره، وقريع عصره، ونسيج وحده، وله مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى

الرتب».

أما ابن الأنباري فقال فيه في كتابه نزهة الألباء... فإنه كان أديباً فاضلاً  
فصيحاً بليغاً».

وهناك من مدحه بشعر وأطرى عليه بنظم، كما فعل ابن قلاقس حين ذكر كتابه  
المشهور اليتيمة:

كتب القريض لآلئ      نظمت على جيد الوجود  
فضل اليتيمة بينها      فضل اليتيمة في العقود  
وفيه قال البستي:

قلبي رهين بنيسابور عند أخ      ما مثله حين تستقري البلادَ أخ  
له صحائف أخلاق مهذّبة      من الحجا والعلا والظرف تُنْتَسَخُ  
هذا نزرٌ مما قيل في الثعالبي، بيد أنه لا يأخذنا الحديث، فننسى أن كاتبنا هذا  
ولد سنة ٣٥٠ للهجرة بالاتفاق فيما نقلت مصنفات التراجم، وأنه توفي ٤٣٠ هـ أي  
أنه ناهز الثمانين من العمر، أما مؤلفاته، فنقل الكثيرون أنها ربت على الثمانين  
مؤلفاً، وكلها مما هو ثمين بحيث لو أمضى الغير ضعف عمر الثعالبي لما أمكنه أن  
يأتي بمثل ما أتى به الثعالبي.

### مؤلفات الثعالبي:

نستطيع أن نقول باطمئنان أن ما سوف نسوقه من أسماء الكتب إنما كان من  
مؤلفات الثعالبي وفقاً لما ذكره المترجمون له، واليقين هنا إنما يأتي لوفرة الحديث  
عنه بما يقطع الشك بأن الثعالبي ذو فضل فيمن تبعه من بعده، وهذا بحال يدعوننا  
لأن نجزم بأن كل ما نقل عنه هو له وليس نسبة، وهذا جدول بأسماء الكتب التي  
أُثرت عنه:

١ - أجناس التجنيس.

٢ - أحسن ما سمعت.

- ٣ - الإحسان من بدائع البلغاء .
- ٤ - اللآلئ والدرر .
- ٥ - الأدب مما للناس فيه أرب .
- ٦ - إعجاز الإيجاز .
- ٧ - أخبار ملوك فارس .
- ٨ - الأعداد .
- ٩ - أفراد المعاني .
- ١٠ - الاقتباس .
- ١١ - الأمثال والتشبيهات .
- ١٢ - ألسن الشعراء .
- ١٣ - الأنيس في غزل التجنيس .
- ١٤ - برد الأكباد في الأعداد .
- ١٥ - بهجة المشتاق .
- ١٦ - التجنيس .
- ١٧ - تحفة العذراء .
- ١٨ - التحسين والتقييح .
- ١٩ - ترجمة الكاتب في آداب الصاحب .
- ٢٠ - التفاحة .
- ٢١ - تفضّل المقتدرين، وتنصّل المعتذرين .
- ٢٢ - التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة .
- ٢٣ - الثلج والمطر .

- ٢٤ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .  
 ٢٥ - جوامع الكلم .  
 ٢٦ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن .  
 ٢٧ - حجة العقل .  
 ٢٨ - حشو اللوزنج .  
 ٢٩ - حلّي العقد .  
 ٣٠ - خاصّ الخاص .  
 ٣١ - خصائص الفضائل .  
 ٣٢ - الخولة وشاهيات .  
 ٣٣ - ديوانه .  
 ٣٤ - سجع المنثور .  
 ٣٥ - سحر البلاغة وسر البراعة .  
 ٣٦ - سحر البيان .  
 ٣٧ - سرّ الأدب في مجاري كلام العرب .  
 ٣٨ - سر البيان .  
 ٣٩ - سر الوزارة .  
 ٤٠ - السياسة .  
 ٤١ - الشكوى والعقاب مما وقع للخلاف والأصحاب .  
 ٤٢ - الشمس .  
 ٤٣ - الشوق .  
 ٤٤ - صفة الشعر والنثر .

- ٤٥ - طبقات الملوك .
- ٤٦ - الظرف من شعر البستي .
- ٤٧ - الطرائف واللطائف .
- ٤٨ - عنوان المعارف .
- ٤٩ - عيون النوادر .
- ٥٠ - غرر البلاغة في الأعلام .
- ٥١ - غرر المضاحك .
- ٥٢ - الغلمان .
- ٥٣ - الفرائد والقلائد .
- ٥٤ - الفصول الفارسية .
- ٥٥ - الفصول في الفضول .
- ٥٦ - فقه اللغة وسر العربية .
- ٥٧ - الكشف والبيان .
- ٥٨ - الكناية والتعريض .
- ٥٩ - كنز الكتاب .
- ٦٠ - لباب الأحاسن .
- ٦١ - لطائف الظرفاء .
- ٦٢ - لطائف المعارف .
- ٦٣ - اللطيف الطيّب .
- ٦٤ - اللمع والفضة .
- ٦٥ - ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .

- ٦٦ - المبهج .  
 ٦٧ - مدح الشيء وذمه .  
 ٦٨ - المديح .  
 ٦٩ - مرآة المرآت .  
 ٧٠ - المضاف والمنسوب .  
 ٧١ - مفتاح والفصاحة .  
 ٧٢ - المقصور والممدود .  
 ٧٣ - مكارم الأخلاق .  
 ٧٤ - ملح البراعة .  
 ٧٥ - الملح والطرف .  
 ٧٦ - منادمة الملوك .  
 ٧٧ - مَنْ أعوزه المطرب .  
 ٧٨ - مَنْ غاب عنه المؤنس .  
 ٧٩ - المتحل .  
 ٨٠ - مؤنس الوحيد المحاضرات .  
 ٨١ - نثر النظم، وحلّ العقد .  
 ٨٢ - نسيم الأنس .  
 ٨٣ - نسيم السحر .  
 ٨٤ - النهاية في الكناية .  
 ٨٥ - النوادر والبوادر .  
 ٨٦ - الورد .

٨٧ - يتيمة الدهر .

٨٨ - يتيمة اليتيمة .

٨٩ - كتاب اليواقيت .

### كتاب فقه اللغة وسر العربية:

هذا الكتاب الجليل ألفه أبو منصور الثعالبي، وقد أودعه جلّ ما اكتسبه من معرفة وعلوم كان قد تلقاها من أشياخه أو قرأها في مصنفاتهم، ويبدو لنا أن سبب تأليفه للكتاب أنه كان بقصد إهدائه للأمير السيد أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي .

وقد ذكر ذلك في المقدمة حيث قال :

« . . . ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها مثل الأمير السيد الأوحّد، أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي أدام الله بهجته، وحرس مهجته . . . » .

وهذا الكتاب على صغر حجمه، إلا أنه حوى بين دفتيه النفيس مما قالته العرب وكاد أن يندثر لولا أنه تصدّى لحفظه الثعالبي وغيره .  
فنزاه تضمن الكثير مما نسّته العرب أو تناسته، حتى كأنه أضحي معجماً لما تواضعت عليه العرب واصطلحت .

وقد جاء هذا الكتاب في قسمين، القسم الأول وهو فقه اللغة، وتشعب إلى ثلاثين باباً، ضمّنه الثعالبي فرائد هذه اللغة الشريفة، هذا وقد قسّم كل باب إلى فضول، تراوحت في كل باب عدداً معيناً حدّه الأدنى ثلاثة أبواب، وحدّه الأقصى خمسة وستون باباً . في حين جاء القسم الثاني وهو سر العربية، وقد جاء في تسعة وتسعين فصلاً .

ونحن إذ قرأنا هذا الكتاب بقصد إخراجه للقارىء العربي خلّوا ما أمكن من التصحيف الذي لم تسلم منه طبعات هذا الكتاب من قبل لذا فإننا عمدنا إلى ضبط

النص ما أمكننا الأمر من ذلك ووفق ما يستسيغه العقل العربي .

وقد أخذنا بعين الاعتبار أموراً عديدة نجملها فيما يأتي :

- ١ - توثيق الآيات القرآنية الكريمة وتخريجها من مواضعها في القرآن الكريم .
  - ٢ - توثيق الأحاديث الشريفة وتخريجها من مظانها، ويبدو أن ثقافة الثعالبي في هذا الكتاب انحصرت في معظمها في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر .
  - ٣ - تخريج الأشعار وذكر أصحاب الأبيات الشعرية والأنصاف من دواوين الشعراء مع ذكر القائلين إذا أغفلها المؤلف .
  - ٤ - التعريف بالأعلام بحيث لا يكون في ذلك إطالة فتكون زيادة عبء على النص ومن ثم يكون فيه حشو كثير، ومن جهة أخرى لا يكون هناك تقصير بحيث يُدرك شيء من العلم الموثق له والمعرّف به .
- وقد انحصر عملنا هنا على ذكر الاسم الصريح للعلم وسنة ولادته وسنة وفاته ما أمكننا تحديد ذلك ثم ذكر أهم أعمال هذا العلم ومصنفاته .
- ٥ - شرح بعض المفردات الصعبة في النص، وذلك للتي يكاد يغيب عن ذهن العربي مثل هذه المفردة أو مثل هذا المعنى .
- ونحن إذ نقدم هذا العمل، فإننا نرجو أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وخدمة لهذه اللغة الشريفة، وعرفاناً بعلم كبير من أعلامنا الأفاضل، وكتاباً مهماً من مكتبتنا العربية، فإن أصبنا في ذلك فالجزاء من جنس العمل، وإن لم نصب، فإن الله سبحانه أعجزنا عن إدراك الكمال، الذي خص به ذاته الشريفة، والحمد لله في الأول وفي الآخر .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

[أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى آلَائِهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، أَحَبَّ رَسُولَهُ الْمُصْطَفَى ﷺ. وَمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ، أَحَبَّ الْعَرَبَ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ، أَحَبَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ<sup>(١)</sup>] التي بها نزلَ أَفْضَلُ الكُتُبِ، على أَفْضَلِ العِجْمِ وَالْعَرَبِ؛ وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبِيَّةَ عُنِيَ بِهَا وَثَابَرَ عَلَيْهَا، وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَيْهَا. وَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ، وَأَتَاهُ حُسْنَ سَرِيرَةٍ فِيهِ، اعْتَقَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَيْرُ الرُّسُلِ، وَالْإِسْلَامَ خَيْرُ الْمِلَلِ، وَالْعَرَبَ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَالْعَرَبِيَّةَ خَيْرُ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسِنَةِ. وَالْإِقْبَالَ عَلَى تَفْهَمِهَا، مِنَ الدِّيَانَةِ؛ إِذْ هِيَ أَدَاةُ الْعِلْمِ، وَمِفْتَاحُ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَسَبَبُ إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ. ثُمَّ هِيَ لِإِحْرَازِ الْفَضَائِلِ، وَالْإِحْتِوَاءِ عَلَى الْمَرْوَةِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَنَاقِبِ، كَالْيَنْبُوعِ لِلْمَاءِ، وَالزُّنْدِ<sup>(٢)</sup> لِلنَّارِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِحَاطَةِ بِخِصَائِصِهَا<sup>(٣)</sup>، وَالْوَقُوفِ، عَلَى مَجَارِيهَا وَمَصَارِفِهَا، وَالتَّبَحُّرِ فِي جَلَائِلِهَا وَدَقَائِقِهَا، إِلَّا قُوَّةُ الْيَقِينِ فِي مَعْرِفَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَزِيَادَةُ الْبَصِيرَةِ فِي إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةُ الْإِيمَانِ، لَكَفَى بِهِمَا فَضْلًا يَحْسُنُ أَثَرُهُ، وَيَطِيبُ فِي الدَّارَيْنِ ثَمَرُهُ. فَكَيْفَ، وَأَيْسَرُ مَا خَصَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ ضُرُوبِ الْمَمَادِحِ مَا يُكَلِّفُ أَقْلَامَ الْكُتَّابِ، وَيُتَعَبُ أَنْامِلَ الْحَسَبَةِ<sup>(٤)</sup>. وَلَمَّا شَرَّفَهَا

(١) في بعض النسخ: «من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية».

(٢) الزند: هو العود الذي يقدح به النار.

(٣) في بعض النسخ: «بحقائقها».

(٤) الحسبة: جمع حاسب، وهو الذي يقوم بعدد المال.

الله عزَّ اسْمُهُ وَعَظَّمَهَا، وَرَفَعَ خَطَرَهَا وَكَرَّمَهَا، وَأَوْحَى بِهَا إِلَى خَيْرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهَا لِسَانَ أَمِينِهِ<sup>(١)</sup> عَلَى وَحْيِهِ، وَأَسْلُوبَ خُلَفَائِهِ فِي أَرْضِهِ، وَأَرَادَ بَقَاءَهَا وَدَوَامَهَا حَتَّى تَكُونَ فِي هَذِهِ الْعَاجِلَةِ [لِخَيْرِ]<sup>(٢)</sup> عِبَادِهِ، وَفِي تِلْكَ الْأَجَلَةِ لِسَانِي [جَنَانِهِ، وَ]<sup>(٣)</sup> دَارِ ثَوَابِهِ، فَيَضُّ<sup>(٤)</sup> لَهَا حَفْظَةً وَخَزَنَةً مِنْ [خَوَاصِّ النَّاسِ]<sup>(٥)</sup> وَأَعْيَانِ الْفَضْلِ، وَأَنْجُمِ الْأَرْضِ، [فَتَسُوا]<sup>(٦)</sup> فِي خِدْمَتِهَا الشَّهَوَاتِ، وَجَابُوا الْفَلَوَاتِ، وَنَادَمُوا لِإِقْتِنَائِهَا الدَّفَاتِرَ، وَسَامَرُوا الْقَمَاطِرَ<sup>(٧)</sup> وَالْمَحَابِرَ، وَكَدُّوا فِي حَضْرِ لُغَاتِهَا طِبَاعِهِمْ، وَأَسْهَرُوا فِي تَقْيِيدِ شَوَارِدِهَا أَجْفَانَهُمْ، وَأَجَالُوا فِي نَظْمِ قَلَانِدِهَا أَفْكَارَهُمْ، وَأَنْفَقُوا عَلَى تَخْلِيدِ كُتُبِهَا أَعْمَارَهُمْ. فَعَظُمَتِ الْفَائِدَةُ، وَعَمَّتِ الْمَصْلِحَةُ، وَتَوَافَرَتِ الْعَائِدَةُ<sup>(٨)</sup>. وَكَلِمًا بَدَأَتْ مَعَارِفُهَا تَتَنَكَّرُ، أَوْ كَادَتْ مَعَالِمُهَا تَتَسْتَرُ، أَوْ عَرَضَ لَهَا مَا يُشْبِهُ الْفِتْرَةَ<sup>(٩)</sup>، رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى [عَلَيْهَا]<sup>(١٠)</sup> الْكِرَّةَ، [فَأَهَبَ]<sup>(١١)</sup> رِيحَهَا وَنَفَقَ<sup>(١٢)</sup> سَوْقَهَا، بِفَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الدَّهْرِ أَدِيبٍ، ذِي صَدْرِ رَحِيبٍ، [وَعَزِيمَةٍ رَاتِبَةٍ]<sup>(١٣)</sup>، وَدِرَايَةٍ صَائِبَةٍ، وَنَفْسٍ سَامِيَةٍ، وَهَمَّةٍ عَالِيَةٍ، يُحِبُّ الْأَدَبَ وَيَتَعَصَّبُ لِلْعَرَبِيَّةِ فَيَجْمَعُ شَمْلَهَا، وَيُكْرِمُ أَهْلِهَا، وَيُحَرِّكُ الْخَوَاطِرَ السَّاكِنَةَ لِإِعَادَةِ رَوْنِقِهَا، وَيَسْتَشِيرُ الْمَحَاسِنَ الْكَامِنَةَ فِي صُدُورِ الْمُتَحَلِّينَ بِهَا، وَيَسْتَدْعِي التَّالِيفَاتِ الْبَارِعَةَ فِي تَجْدِيدِ مَا عَفَا مِنْ رُسُومِ طَرَائِفِهَا وَلَطَائِفِهَا، مِثْلَ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ الْأَوْحَدِ، أَبِي

(١) أراد به ملك الوحي جبريل عليه السلام.

(٢) في بعض النسخ «الخيار».

(٣) نقص في بعض النسخ.

(٤) أي أتاح لها.

(٥) في بعض النسخ: «خواصه».

(٦) في بعض النسخ: «تركوا».

(٧) القماطر: جلود تحفظ بها الكتب.

(٨) العائدة: ما يعود على المشتغل بها من الأجر. وفي بعض النسخ «توفرت».

(٩) الفترة: الانحلال والضعف.

(١٠) في بعض النسخ: «لها».

(١١) في بعض النسخ: «فأحب».

(١٢) أي جد في تحقيق الريح والكسب.

(١٣) في بعض النسخ: «وقريحة ثاقبة».

الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي<sup>(١)</sup> أدام الله بهجته، وحرَسْ مُهَجَّتَه. [وأين، لا أين]<sup>(٢)</sup> مثله، وأضله أضله، وفضله فضله: [الكامل]:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

وما عسيْتُ أن أقولَ فيمنَ جمعَ أطرافَ المحاسنِ، ونظَمَ أشتاتَ الفضائلِ، وأخذَ برقابَ المحامدِ، واستولى على غاياتِ المناقبِ، فإن ذَكَرَ كَرَمَ المنصبِ، وشرفَ المنتسبِ، كانت شجرته الميكالية في قرارة المجد والعلاء،<sup>(٣)</sup> [و] أصلها ثابت وفرعها في السماء<sup>(٤)</sup>. وإن وُصِفَ حُسْنُ الصورة الذي هو أوَّلُ السعادة، وعنوانُ الخيرِ وَسِمَةُ السيادة، كان في وجهه المقبولِ الصَّبِيحِ، ما يستنطقُ الأفواهَ بالتسبيحِ، لا سيمًا إذا تَرَفَّرَقَ ماءُ البشرِ في عُرتِه، وتفتقَ نورُ الشرفِ من أسيرته<sup>(٥)</sup>. وإن مُدِخَ حُسْنِ الخُلُقِ، فله أخلاقٌ خُلِقَنَ من الكرمِ المحضِ، وشيمٌ تُشَامُ منها بارقةُ المجد. فلو مُزِجَ بها البحرُ لَعَذَبَ طعمُهُ، ولو استعارها الزمانُ لَمَا جَارَ على حُرِّ حُكْمِهِ. وإن أُجْرِيَ حديثُ بُعْدِ الهمةِ، ضربنا به المثل، وتمثلنا همته على هامة زحل. وإن نُعِتَ الفكرُ العميقُ، والرأسُ الزنبيق<sup>(٦)</sup>، فله منهما فلكٌ يُحيطُ بجوامع الصوابِ، ويدور بكواكب السدادِ، ومرآة تُريه ودائع القلوبِ، وتكشفُ له عن أسرار الغيوب. وإن حُدِّثَ عن التواضعِ، كان أولى بقولِ البحتري<sup>(٧)</sup> ممن قال فيه [من الوافر]:

دَنُوتٌ تواضعاً وَعَلَوْتُ مَجْدًا      فشانَاكَ انخفاضٌ وارتفاغٌ

(١) هو عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي خراساني وأمير من الكتاب الشعراء صنّف له الثعالبي ثمار القلوب توفي سنة ٤٣٦ هـ.

(٢) في بعض النسخ: «أين».

(٣) زيادة في بعض النسخ.

(٤) إشارة إلى آية كريمة هي الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.

(٥) الأسرة: جمع سرّ، وهي خطوط الوجه والجهة.

(٦) الزنبيق هو الرصين المحكم.

(٧) هو الوليد بن عبيد الطائي: شاعر كبير، يقال في شعره: سلاسل الذهب ولد بمنج ورحل إلى العراق توفي سنة ٢٨٤ هـ.

كذلك الشمسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَذْنُو الضَّوْءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ  
وَأَمَّا سَائِرُ أَدْوَاتِ الْفَضْلِ، وآلَاتِ الْخَيْرِ، وَخِصَالِ الْمَجْدِ، فَقَدْ قَسَمَ اللَّهُ  
تَعَالَى لَهُ مِنْهَا مَا يُبَارِي الشَّمْسَ ظُهُورًا، وَيَجَارِي الْقَطْرَ وَفُورًا؛ وَأَمَّا فنونُ الْآدَابِ  
فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا<sup>(١)</sup>، وَأَخُو جُمْلَتِهَا، وَأَبُو عُدْرَتِهَا<sup>(٢)</sup>، وَمَالِكُ أَزِمَّتِهَا. وَكَأَنَّمَا يُوحَى  
إِلَيْهِ فِي الْاسْتِثَارِ بِمُحَاسِنِهَا، وَالتَّفَرُّدِ بِبِدَائِعِهَا. وَلِلَّهِ هُوَ! إِذَا غَرَسَ الدَّرَّ فِي أَرْضِ  
الْقُرْطَاسِ، وَطَرَزَ بِالظَّلَامِ رِذَاءَ النَّهَارِ، وَأَلْقَتْ بِحَارٍ خَوَاطِرِهِ، جَوَاهِرَ الْبَلَاغَةِ عَلَى  
أَنَامِلِهِ، فَهُنَاكَ الْحَسَنُ بِرُمَّتِهِ، وَالْإِحْسَانُ بِكَلِمَتِهِ؛ وَلَهُ مِيرَاثُ التَّرْسُلِ بِأَجْمَعِهِ؛ إِذْ قَدْ  
انْتَهَتْ إِلَيْهِ بَلَاغَةُ الْبَلْغَاءِ. فَمَا تُظِلُّ الْخَضْرَاءُ، وَلَا تُقِلُّ الْعَبْرَاءُ فِي زَمْنِنَا هَذَا  
أَجْرَى مِنْهُ فِي مِيدَانِهَا، وَأَحْسَنَ تَصْرِيفًا لِعِنَانِهَا. فَلَوْ كُنْتُ بِالنُّجُومِ مُصَدِّقًا، لَقُلْتُ:  
قَدْ تَأْتَقَّ عُطَارِدُ فِي تَدْبِيرِهِ، وَقَصَرَ عَلَيْهِ مُعْظَمُ هِمَّتِهِ، وَوَقَفَ فِي طَاعَتِهِ، عِنْدَ  
أَقْصَى طَاقَتِهِ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ سِرَّ النُّظْمِ، وَسِحْرِ النُّثْرِ، وَرُقِيَّةِ<sup>(٣)</sup> الدَّهْرِ، وَيَرَى  
صَوْبَ الْعَقْلِ<sup>(٤)</sup>، وَذَوْبَ الظَّرْفِ<sup>(٥)</sup>، وَنَتِيجَةَ الْفَضْلِ، فَلْيَسْتَنْشِدْ مَا أَسْفَرَ عَنْهُ طَبْعُ  
مَجْدِهِ، وَأَثْمَرُهُ عَالِي فِكْرِهِ، مِنْ مُلْحِ تَمْتَزُجُ بِأَجْزَاءِ النُّفُوسِ لِنَفَاسَتِهَا، وَتَشْرَبُ  
الْقُلُوبُ لِسَلَاسَتِهَا [من المتقارب]:

قَوَافٍ إِذَا مَا رَوَاهَا الْمَشُورُ قُ هَزَّتْ لَهَا الْغَانِيَاثُ الْقُدُودَا  
كَسَوْنَ عَبِيدًا نِيَابَ الْعَبِيدِ وَأَضْحَى لَبِيدٌ لَدَيْهَا بَلِيدًا<sup>(٦)</sup>

وَأَيْمُ اللَّهِ! مَا مِنْ يَوْمٍ أَسْعَفَنِي فِيهِ الزَّمَانُ بِمُوجِهُةٍ وَجْهِهِ، وَأَسْعَدَنِي بِالْإِقْتِبَاسِ  
مِنْ نُورِهِ وَالْإِعْتِرَافِ مِنْ بَحْرِهِ، فَشَاهَدْتُ ثَمَارَ الْمَجْدِ وَالسُّؤْدُدِ تُنْثَرُ مِنْ شِمَائِهِ، وَرَأَيْتُ  
فَضَائِلَ أَفْرَادِ الدَّهْرِ عِيَالًا عَلَى فِضَائِلِهِ، وَقَرَأْتُ نُسخَةَ الْكِرَمِ وَالْفَضْلِ مِنْ أَلْحَاطِهِ،

(١) ابن بجدتها: أي العالم بالآداب والمتقن لها.

(٢) أبو عذرتها: أي سيد التصرف بها.

(٣) الرقية هي التعويذة التي يرقى بها المريض.

(٤) الصوب: هو الغيث النافع.

(٥) الظرف: الكياسة والفتانة.

(٦) يريد أن عبيد بن الأبرص ولبيد بن ربيعة الشاعرين المعربين المعروفين بالإجادة.

وانْتَهَبْتُ فَرَائِدَ الْفَوَائِدِ مِنْ أَلْفَاظِهِ، إِلَّا تَذَكَّرْتُ مَا أَنْشَدَنِيهِ، أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ، لِعَلِيِّ بْنِ  
الرُّومِيِّ [مِنْ الْبَسِيطِ]:

لَوْلَا عَجَائِبُ صَنْعِ اللَّهِ مَا نَبَتَتْ تِلْكَ الْفَضَائِلُ فِي لَجْمٍ وَلَا عَصَبٍ  
وَأَنْشَدْتُ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي، وَرَدَّدْتُ قَوْلَ الطَّائِي (١) [مِنْ الْوَافِرِ]:

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ  
وَتَلَّثْتُ بِقَوْلِ كُنْشَاجِمٍ (٢) [مِنْ الْكَامِلِ]:

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِّئِهِ مِنَ الْعَيْنِ  
وَرَبَّعْتُ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي (٣) [مِنْ الْوَافِرِ]:

فَإِنْ تَفَقَّيَ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ (٤)  
ثُمَّ اسْتَعْرَضْتُ فِيهِ لِسَانَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ (٥) حَيْثُ قَالَ لِلصَّاحِبِ (٦)، وَرَثَةُ اللَّهِ  
أَعْمَارُهُمَا. كَمَا وَرَثَةُ فِي الْبَلَاغَةِ أَقْدَارُهُمَا [مِنْ السَّرِيعِ]:

اللَّهُ حَسْبِي فِيكَ مِنْ كُلِّ مَا يُعَوِّدُ الْعَبْدُ بِهِ الْمَوْلَى  
وَلَا تَزَلْ تَزْفُلُ فِي نِعْمَةٍ أَنْتَ بِهَا مِنْ غَيْرِكَ الْأَوْلَى

(١) هو حبيب بن أوس، أبو تمام الشاعر الأديب أحد أمراء البيان ولد في حران ورحل إلى مصر له مصنفات كثيرة منها «فحول الشعراء بالحماصة» توفي سنة ٢٣١ هـ.

(٢) هو أبو نصر بن أبي فتح محمود بن الحسين، شاعر من الشام، من أصل فارسي ولقب بكشاجم لعلوم كان يتقنها توفي سنة ٣٦٠ هـ.

(٣) المتنبّي: أحمد بن الحسين أبو الطيب، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر العرب ولد بالكوفة وقال الشعر في صباه قتل على يد فاتك بن أبي جهل سنة ٣٥٤ هـ.

(٤) هذا البيت من قصيدة يرثي بها سيف الدولة وأولها:

نَعَدَ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقَتَّلْنَا الْمُنُونِ بِلَا قِتَالِ

(٥) هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الصابئ، مات سنة ٣٨٤ هـ.

(٦) هو إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب لأنه صاحب ابن بويه الديلمي، له «الكشف عن مساويء شعر المتنبّي» توفي سنة ٣٨٥ هـ.

وما أنس لا [أنسي] (١) أيامي عنده بفيروز آباد (٢)، إحدى قرأه برُستاق جوين (٣)، سقاها الله ما يحكي أخلاق صاحبها من سبل القَطْر؛ فإنها كانت بطلعتهِ البدرية، وعِشرته العِظرية، وآدابه العُلوية، وألفاظه اللؤلؤية، مع جلائل أنعامِ المذكرة، وذفاتق إكرامه المشكورة، وفوائد مجالسه المعمورة، ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعيا بها الواصفون، أنموذجات (٤) من الجنة التي وعد المتقون. فإذا تذكرتها في تلك المرباع التي هي مراتع النواظر، والمصانع التي هي مطالع العيش الناضر، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها، ونشرت طرائف مطارفها (٥)، طوي لها الديباج (٦) الخسرواني، ونفي معها الوشي الصنعاني (٧)؛ فلم تشبه إلا بشيمه، وأثار قلمه، وأزهار كلمه، تذكرت [سخرأ] (٨) [وسيمأ] (٩)، وخيراً عميماً، وارتياحاً مقيماً، وزوحاً وزريحاناً (١٠) ونعيماً. وكثيراً ما أحكي للإخوان والأصدقاء، أني استغرقت أربعة أشهر هناك بحضرتي، وتوقفت على خدمته، ولازمت في أكثر أوقات الليل والنهار، عالي مجلسه، وتعطرت عند ركوبه بغبار موكبه (١١)؛ فبالله أقسم يمينا قد كنت عنها غنياً، وما كنت أوليها، لو خفت حثاً (١٢) فيها، أني ما أنكرت طرفاً من أخلاقه، ولم أشاهد إلا مجدداً وشرفاً من أحواله. وما رأيتُه اغتاب غائباً، أو سب حاضراً، أو حرم سائلاً، أو خيب

(١) في بعض النسخ: «أنسي».

(٢) فيروزآباد: بلدة فارسية تقع قرب سيزار يعني اسمها أتم الدولة.

(٣) رستاق «لوحدها اسم لمدينة بفارس من نواحي كرمان» وجوين كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور.

(٤) أي أمثلة، وهي فارسية معربة.

(٥) المطارف: جمع مطرف وهو ثوب من خر ازدان بالأعلام.

(٦) الديباج الخسرواني: هو الحرير المنسوب إلى خسرو في فارس.

(٧) الصنعاني: هو المنسوب إلى صنعاء اليمن.

(٨) في بعض النسخ: «سخرأ».

(٩) في بعض النسخ: «ونسيماً».

(١٠) الروح: الريح الطيبة والريحان نبات طيب يوضع على القبور.

(١١) كناية عن السرور الذي يحدثه فيه مرور موكبه في رحلات الصيد أو السفر.

(١٢) الحث: الإخلاف بالقسم.

آملاً، أو أظاع سلطان العصب والحدرد<sup>(١)</sup>، أو تصلى بنار الضجر في السفر، أو بطش بطش المتجبر. وما وجدت المائر إلا ما يتعاطاه، ولا المائم إلا ما يتخطاه؛ فعوذته بالله، وكذلك الآن، من كل طرف عائن<sup>(٢)</sup>، وصدر خائن. هذا ولو أعارتني خطباء إياد<sup>(٣)</sup> ألسنتها وكتاب العراق أيديها، في وصف أياديه التي اتصلت عندي كاتصال السعود<sup>(٤)</sup>، وانتظمت لدي في حالتني حضوري وغيبتي، كانتظام العقود، فقلت في ذكرها طالياً أمد الإسهاب، وكتبت في شكرها ماداً أظناب الإطناب، لما كنت بعد الاجتهاد، إلا ماثلاً في جانب القصور، متأخراً عن الغرض المقصود؛ فكيف وأنا قاصر سعي البلاغة، قصير باع الكتابة؟ وعلى ذلك فقد صدق فهمي مع بعد كان عن حضرته، وتكدر ماء خاطري لتناول العهد بخدمته، وتكسر في صدري ما عجز عن الإفصاح به لساني. فكان أبا القاسم الزعفراني<sup>(٥)</sup>، أحد شعراء العصر، الذين أوردت ملحمهم في كتاب يتيمة الدهر<sup>(٦)</sup>، قد عبر عن قلبي بقوله [من الخفيف]:

لي لسان كأنه لي معادي      ليس يُنبي عن كُنه ما في فؤادي  
حكّم الله لي عليه فلو أن      صفّ قلبي عرفت قدر ودادي

فإلى من جمّل الزمان بمجده، وشرف أهل الآداب بمُناسبة طبعه، ونظر لذوي الفضل بامتداد ظلّه، ودأوى أحوالهم بطبّ كرمه، أزعج في أن يجعل أيتامه المسعودة أعظم الأيام السالفة يُمنأ عليه، ودون الأيام المستقبلية فيما يُحب ويحب أولياؤه له، وأن يُديم إمتاعه بظلّ النعمة، ولباس العافية، وفراش السلامة، ومركب الغبطة<sup>(٧)</sup>. ويُطيل بقاءه مصوناً في نفسه وأعرته، متمكناً مما يفتضيه عالي همته، وأن

(١) الحدرد: الغضب.

(٢) عائن: أي يصيب بالعين.

(٣) إياد: قبيلة عربية تنسب إلى معدّ، وقد اشتهرت بفصاحة خطبائها.

(٤) أي أمد الإسهاب، وقد أراد الإطالة المسهبة في الكلام.

(٥) هو عمر بن إبراهيم، شيخ من شيوخ الشعر في زمانه، وقد نادى الصاحب بن عباد وشعره مؤثر في النفس، وقد ذكره الثعالبي في اليتيمة، ولم تحدد سنة وفاته.

(٦) وذلك في ص ٣٥٦.

(٧) الغبطة: السعادة والسرور.

يَجْمَعُ لَهُ الْمَدُّ فِي الْعُمُرِ إِلَى النَّفَازِ فِي الْأَمْرِ، وَالْفَوْزُ بِالْمَثُوبَةِ مِنَ الْخَالِقِ، وَالشُّكْرُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَيَجْمَعُ أَمَالَهُ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ. وَأَعُوذُ، أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ الْأَوْحَدِ، لِمَا افْتَتَحَتْ لَهُ رسالتي هَذِهِ، فَأَقُولُ: إِنِّي مَا عَدَلْتُ بِمَوْلَّفَاتِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، عَنْ اسْمِهِ وَرَسْمِهِ<sup>(١)</sup>، إِخْلَالًا بِمَا يُلْزِمُنِي مِنْ حَقِّ سُودَدِهِ، بَلْ إِجْلَالًا لَهُ عَمَّا لَا أَرْضَاهُ لِلْمُرُورِ بِسَمْعِهِ وَلِحِظِهِ، وَتَحَامِيًّا، [لِعَرْضِ]<sup>(٢)</sup> بَضَاعَتِي الْمُزْجَاةِ<sup>(٣)</sup> عَلَى قُوَّةِ نَقْدِهِ، وَذَهَابًا بِنَفْسِي عَنْ أَنْ أَهْدِيَ لِلشَّمْسِ ضَوْءًا، أَوْ أَنْ أَزِيدَ فِي الْقَمَرِ نُورًا؛ فَأَكُونُ كَجَالِبِ الْمِسْكِ إِلَى أَرْضِ التَّرْكِ<sup>(٤)</sup>، أَوْ الْعُودِ، إِلَى بِلَادِ الْهِنُودِ، أَوْ الْعَنْبَرِ إِلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ. وَقَدْ كَانَتْ تَجْرِي فِي مَجْلِسِهِ، آتِسُهُ اللَّهُ، نُكْتُ<sup>(٥)</sup> مِنْ أَقَاوِيلِ أُمَّةِ الْأَدَبِ فِي أَسْرَارِ اللُّغَةِ وَجَوَامِعِهَا، وَلَطَائِفِهَا وَخَصَائِصِهَا، مِمَّا لَمْ يَتَنَبَّهُوا لِجَمْعِ شَمْلِهِ، وَلَمْ يَتَوَصَّلُوا إِلَى نَظْمِ عِقْدِهِ؛ وَإِنَّمَا اتَّجَهْتُ لَهُمْ فِي أَثْنَاءِ التَّأْلِيفَاتِ، وَتَضَاعَيْفِ التَّصْنِيفَاتِ، لُتْمَعُ سِيرَةٍ كَالْتَوْقِيعَاتِ، وَفِقْرُ خَفِيفَةٍ كَالْإِشَارَاتِ؛ فَيَلْوُحُ، لِي أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ، بِالْبَحْثِ عَنْ أَمْثَالِهَا، وَتَحْصِيلِ أَخْوَاتِهَا، وَتَذْيِيلِ مَا يَتَّصِلُ بِهَا، وَيَنْخَرِطُ فِي سَبْلِهَا، وَكَسْرِ دَفْتَرِ جَامِعِ عَلَيْهَا، وَإِعْطَائِهَا مِنَ النِّيْقَةِ<sup>(٦)</sup> حَقَّهَا. وَأَنَا أَلُوذُ بِأَكْتِنَافِ الْمُحَاجَزَةِ<sup>(٧)</sup>، وَأَحُومُ حَوْلَ الْمَدَافِعَةِ، وَأَرْعَى رَوْضَ الْمُمَاطَلَةِ، لَا تَهَاوُنًا بِأَمْرِهِ الَّذِي أَرَاهُ كَالْمَكْتُوبَاتِ، وَلَا أُمَيَّرُهُ عَنِ الْمَفْرُوضَاتِ؛ وَلَكِنْ تَفَادِيًا مِنْ قُصُورِ سَهْمِي عَنْ هَدَفِ إِرَادَتِهِ، وَأَنْجِرَافًا عَنِ الثِّقَّةِ بِنَفْسِي فِي عَمَلٍ مَا يَضْلُحُ لخدمته، إِلَى أَنْ أَتَفَقَّتْ لِي، فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ الَّتِي هِيَ أَعْيَادُ دَهْرِي، وَأَعْيَانُ عُمْرِي، مُوَكَبَةُ الْقَمَرَيْنِ<sup>(٨)</sup>، بِمُسَايَرَةِ رِكَابِهِ، وَمُوَاصَلَةِ السَّعْدَيْنِ، بِصِلَةِ جَنَابِهِ، فِي مُتَوَجِّهِهِ إِلَى فَيْرُوزْآبَادِ، إِحْدَى

(١) ريحه أي شكله، وهو يريد أنه لم يصرح في كتبه المؤلفة بإهدائها إليه ولا يحملها برسم خزانته.

(٢) في بعض النسخ: «بعرض».

(٣) المزجاة: الرديئة التي لم يتم صلاحها.

(٤) مثل يراد به أن المرء يأخذ بضاعة يتاجر بها في مكان صدورها منه.

(٥) النكت: هي الأفكار الطريفة.

(٦) أي إذا تجوّد وبالغ.

(٧) المحاجزة: هي الامتناع عن المخاصمة.

(٨) مواكبة القرين: أي ملازمتها.

قُراه من الشامات<sup>(١)</sup>، ومنها إلى خذاي داد، عَمَّرَهُمَا اللَّهُ بِدَوَامِ عَمْرِهِ فلما [من الطويل]:

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْجِيَادِ الْأَبَاطِحُ<sup>(٢)</sup>

وَعُدْنَا لِلْعَادَةِ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ فِي تَجَادُبِ أَهْدَابِ الْآدَابِ، وَفَتَّقِ نَوَافِحِ<sup>(٣)</sup> الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ، أَفْضَتْ بِنَا شُجُونُ الْحَدِيثِ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ، وَكَوْنِهِ شَرِيفِ الْمَوْضُوعِ، أَيْنِقَ الْمَسْمُوعِ، إِذَا خَرَجَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ. فَأَحَلَّتْ فِي تَأْلِيفِهِ عَلَى بَعْضِ حَاشِيَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ. إِذَا أَعَارَهُ، أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ، لَمَحَّةً مِنْ هِدَايَتِهِ، وَأَمَدَهُ بِشُعْبَةٍ مِنْ عِنَايَتِهِ. فَقَالَ لِي، صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَهُ، وَلَا أَعَدَمَ الدُّنْيَا جَمَالَهَ وَطَوْلَهُ، كَمَا أَذَاقَ الْعِدَا بَأْسَهُ وَصَوْلَهُ: إِنَّكَ إِنْ أَخَذْتَ فِيهِ أَجَدْتَ وَأَحْسَنْتَ، وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ! فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعًا سَمِعًا، وَلَمْ أَسْتَجِزْ لِأَمْرِهِ دَفْعًا، بَلْ تَلَقَّيْتُهُ بِالْيَدَيْنِ، وَوَضَعْتُهُ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ. وَعَادَ، أَدَامَ اللَّهُ تَمَكِينَهُ، إِلَى الْبَلَدَةِ عَوَدَ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ<sup>(٤)</sup>، وَالْعَيْثِ إِلَى الرَّوْضِ الْمَاحِلِ، فَأَقَامَ لِي فِي التَّأْلِيفِ مَعَالِمَ أَفْئُفِ عِنْدَهَا، وَأَفْئُفِ حَدَّهَا؛ وَأَهَابَ بِي إِلَى مَا اتَّخَذْتُهُ قِبَلَهُ أَصْلِي إِلَيْهَا، وَقَاعِدَةَ أَبِي عَلِيَّهَا، مِنَ التَّمَثِيلِ وَالتَّنْزِيلِ، وَالتَّفْصِيلِ وَالتَّرْتِيبِ، وَالتَّفْسِيمِ وَالتَّقْرِيبِ؛ وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ مُقِيمَ الْجِسْمِ، شَاخِصَ الْعَزْمِ؛ فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى ضَيْعَةٍ لِي مُتَنَاهِيَةِ الْإِخْتِلَالِ بَعِيدَةِ الْمَزَارِ؛ فَأَجْمَعُ فِيهَا بَيْنَ الْحَلْوَةِ بِالتَّأْلِيفِ، وَبَيْنَ الْاسْتِعْمَارِ<sup>(٥)</sup>، فَأَذِنَ لِي، أَدَامَ اللَّهُ غِبْطَتَهُ، عَلَى كُرْوِ مِنْهُ لِفِرْقَتِي، وَأَمَرَ، أَعْلَى اللَّهُ أَمْرَهُ، بِتَزْوِيدِي مِنْ ثِمَارِ خَزَائِنِ كُتُبِهِ، عَمَّرَهَا اللَّهُ بِطَوْلِ عُمَرِهِ، مَا اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى مَا أَنَا بِصَدْدِهِ. فَكَانَ كَالدَّلِيلِ يُعِينُ السَّفَرَ بِالزَّادِ، وَالطَّيِّبِ يُنْحِفُ الْمَرِيضَ بِالدَّوَاءِ وَالْغِدَاءِ. وَحِينَ مَضَيْتُ لِطَيْبِي<sup>(٦)</sup>، وَالْمَمْتُ بِمَقْصِدِي، وَجَدْتُ

(١) الشامات: ج شامة، وهي قرية من سيرجان.

(٢) بيت مشهور حفل النقاد والدارسين ونُسب لكثير من الشعراء.

(٣) النوافج: جمع نافجة، وهو وعاء المسك.

(٤) العاطل: هو العنق الذي لا حُلِيَّ فيه.

(٥) الاستعمار: أي إصلاح الضيعة التي فيها خراب.

(٦) الطيبة: هي الغاية والحاجة.

بَرَكَةَ حُسْنِ رَأْيِهِ، وَيُؤْمَنَ اعْتِرَازِي<sup>(١)</sup> إِلَى خِدْمَتِهِ، قَدْ سَبَقَانِي إِلَيْهِ وَانْتَظَرَانِي بِهِ، وَحَصَلْتُ، مَعَ الْبَعْدِ عَنْ حَضْرَتِهِ فِي مَطْرَحٍ مِنْ شُعَاعِ سَعَادَتِهِ: يُبَشِّرُ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ، وَيُؤَدِّنُ بِالنُّجْحِ الْقَرِيبِ. وَتُرِكْتُ وَالْأَدَبَ وَالْكَتُبَ، أَنْتَقِي مِنْهَا وَأَنْتَخِبُ، وَأَفْضَلُ وَأَبْوَبُ، وَأَقْسَمُ وَأَرْتَبُ، وَأَنْتَجِعُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْأَثْمَةِ مِثْلَ الْخَلِيلِ<sup>(٣)</sup>، وَالْأَصْمَعِيِّ<sup>(٤)</sup>، وَأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ<sup>(٥)</sup>، وَالْكَسَائِيِّ<sup>(٦)</sup>، وَالْفَرَّاءِ<sup>(٧)</sup>، وَأَبِي زَيْدٍ<sup>(٨)</sup>، وَأَبِي عُبَيْدَةَ<sup>(٩)</sup>، وَأَبِي عُبَيْدٍ<sup>(١٠)</sup>، وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ<sup>(١١)</sup>، وَالنُّضْرِيِّ<sup>(١٢)</sup>، وَأَبِي الْعَبَّاسِ<sup>(١٣)</sup>، وَابْنِ دُرَيْدٍ<sup>(١٤)</sup>، وَنَفْطُوِيهِ<sup>(١٥)</sup>، وَابْنِ خَالَوَيْهِ<sup>(١٦)</sup>، وَالْخَارَزَنْجِيِّ<sup>(١٧)</sup>، وَالْأَزْهَرِيِّ، وَمَنْ

- 
- (١) الاعتزاء هو الانتساب.  
 (٢) أنتجع: أي أطلب.  
 (٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، عالم لغوي عروضي بعدي وأستاذ سيبويه عاش في البصرة ومات فيها سنة ١٧٠ هـ. وله مؤلفات كثيرة منها العين.  
 (٤) هو عبد الملك بن قريب، عالم باللغة والأدب وراوي مشهور توفي سنة ٢١٦ هـ.  
 (٥) هو إسحاق بن مرار الشيباني، راوية وجامع للشعر في عدد كبير من القبائل توفي سنة ٢٠٦ هـ في بغداد.  
 (٦) علي بن حمزة الكوفي: ألف في اللغة والأدب وأدب الرشيد وابنه الأمين توفي سنة ١٨٨ هـ.  
 (٧) هو يحيى بن زياد، وأعلم أهل الكوفة باللغة والنحو وأيام العرب توفي وهو في طريقه إلى مكة سنة ٢٠٧ هـ.  
 (٨) هو سعيد بن أوس، وعالم باللغة عاش بالبصرة وتوفي بها عام ٢١٥ هـ وصاحب كتاب النوادر في اللغة.  
 (٩) هو معمر بن المثنى: عالم باللغة والأدب ولد بالبصرة وتوفي فيها سنة ٢٠٩ هـ.  
 (١٠) هو القاسم بن سلام الهروي، عالم بالحديث والفقه ولد بهراة وتوفي بمكة عام ٢٤٤ هـ.  
 (١١) هو محمد بن زياد الكوفي النشأة، عالم في اللغة والخيل والأنساب توفي عام ٢٣١ هـ.  
 (١٢) هو النضر بن شميل المروزي، عالم باللغة وأيام العرب والحديث توفي في مرو عام ٢٠٣ هـ.  
 (١٣) هو محمد بن يزيد المبرد إمام اللغة في البصرة صاحب الكامل والمذكر والمؤنث مات ببغداد سنة ٢٩٦ هـ.  
 (١٤) هو محمد بن الحسن وأشهر علماء زمانه في اللغة والأدب والشعر وصاحب الاشتقاق وجمهرة اللغة توفي سنة ٣٢١ هـ.  
 (١٥) هو إبراهيم بن محمد واسطي بغدادي وقد أيد مذهب سيبويه وتوفي سنة ٣٢٣ هـ.  
 (١٦) هو الحسين بن أحمد عاش في زمان سيف الدولة وجالس المتنبّي توفي بحلب سنة ٣٧٠ هـ.  
 (١٧) هو أحمد بن محمد المنسوب إلى خارزنج بنيسابور وهو عالم باللغة والأدب وقد توفي سنة ٣٤٨ هـ.

سواهم من طُرَفَاءِ الأَدْبَاءِ، الَّذِينَ جَمَعُوا فَصَاحَةً العَرَبِ البُلْغَاءِ، إِلَى إِتْقَانِ العُلَمَاءِ، وَوُجُودِ اللُّغَةِ إِلَى سُهُولَةِ البَلَاغَةِ، كَالصَّاحِبِ أَبِي القَاسِمِ<sup>(١)</sup>، وَحَمْرَةَ بِنِ الحَسَنِ الأَصْبَهَانِي<sup>(٢)</sup>. وَأَبِي الفَتْحِ المِرَاغِي<sup>(٣)</sup> وَأَبِي بَكْرِ الخَوَارِزْمِي<sup>(٤)</sup>، وَالقَاضِي أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بِنِ عَبْدِ العَزِيزِ الجُرْجَانِي<sup>(٥)</sup>، وَأَبِي الحَسَنِ أَحْمَدَ بِنِ فَارِسِ بِنِ زَكْرِيَا القَزْوِينِي<sup>(٦)</sup>، [وَأَجْتَلِي]<sup>(٧)</sup> مِنْ أَنْوَارِهِمْ، وَأَجْتَنِي مِنْ ثِمَارِهِمْ، وَأَقْتَفِي آثَارَ قَوْمٍ قَدْ أَقْفَرَتْ مِنْهُمُ البِقَاعُ، وَأَجْمَعُ فِي التَّأْلِيفِ بَيْنَ أَبْكَارِ الأَبْوَابِ وَالْأَوْضَاعِ، وَعَوْنِ<sup>(٨)</sup> اللُّغَاتِ وَالْأَلْفَاظِ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ [مِنِ الكَامِلِ]:

أَمَا المَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا افْتَضَّتْ وَلَكِنَّ القَوَافِي عُونٌ  
ثُمَّ اعْتَرَضْتَنِي أَسْبَابٌ، وَعَرَضْتْ لِي أَحْوَالٌ أَدَّتْ إِلَى إِطَالَةِ عِنَانِ العَيْبَةِ عَنِ تِلْكَ  
الحَضْرَةِ المَسْعُودَةِ، وَالمُقَامِ تَحْتَ جَنَاحِ الضَّرُورَةِ مِنَ الضَّبِيعَةِ المَذْكُورَةِ. بِمَدْرَجَةٍ مِنَ  
النَّوَائِبِ تَصُكِّنِي<sup>(٩)</sup> فِيهَا سَفَاتِجُ<sup>(١٠)</sup> الأَحْزَانِ، وَتُرْسِلُ عَلَيَّ شَوَاطِئَ مِنْ نَارِ القُفُوصِ<sup>(١١)</sup>  
الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ<sup>(١٢)</sup> [مِنِ البَسِيطِ]:

- (١) هو محمد بن أحمد الأزهرى، وأحد أدباء هراة ولد بها ومات سنة ٣٧٠ هـ وهو صاحب معجم تهذيب اللغة.
- (٢) علي بن إسحاق الزاهي، شاعر ووصاف، وأكثر شعره في أهل البيت، وقد مدح سيف الدولة، وقد عاش في بغداد وتوفي هناك عام ٣٥٢ هـ.
- (٣) هو حمزة بن الحسن، عاش في أصبهان وأرخ لها توفي سنة ٣٦١ هـ.
- (٤) هو محمد بن جعفر، عالم باللغة والأدب والأخبار، عاش في بغداد وتوفي سنة ٣٧٦ هـ.
- (٥) هو محمد بن العباس، عاش في خوارزم ومات بنيسابور سنة ٣٨٣ هـ وله آثار في الشعر واللغة والأدب والأنساب.
- (٦) هو علي بن عبد العزيز: عالم باللغة والأدب والبلاغة وناقد شهير ولد في جرجان وله كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه وتوفي في نيسابور سنة ٣٩٢ هـ.
- (٧) هو أحمد بن فارس القزويني، عالم باللغة والأدب، له في اللغة المقاييس والمجمل والصاحبي وتوفي سنة ٣٩٥ هـ.
- (٨) العون: هي المرأة ألقى لها زوجها وهي عكس البكر.
- (٩) أي تضربني ضرباً شديداً.
- (١٠) أي كتب صاحب المال إلى عماله بقصد إعطاء المال للآخرين.
- (١١) هم جيل من الناس متلصصو من نواحي كرمان وأصحاب مراس في الحرب.
- (١٢) اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر.

[وَلَا ثَبَاتَ عَلَى سَمِّ الْأَسَاوِدِ لِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ]<sup>(١)</sup>  
 إِلاَّ أَنْ ذَكَرَ الْأَمِيرَ السَّيِّدَ الْأَوْحَدَ - أَدَامَ اللَّهَ تَأْيِيدَهُ - كَانَ هَجِيرَايَ فِي تِلْكَ  
 الْأَحْوَالِ، وَالِاسْتِظْهَارَ بِتَمَيُّزِ الْاِغْتِرَاءِ إِلَى خِدْمَتِهِ، شِعَارِي فِي تِلْكَ الْأَهْوَالِ. فَلَمْ  
 تَبْسُطِ النَّكْبَةَ إِلَيَّ يَدَهَا، إِلاَّ وَقَدْ قَبَضَتْهَا عَنِّي سَعَادَتُهُ، وَلَمْ تَمْتَدَّ بِي أَيَّامَ الْمِحْنَةِ إِلاَّ  
 وَقَدْ قَصَّرَتْهَا عَنِّي بَرَكَتُهُ. وَكَانَتْ كِتْبَةُ الْكَرِيمَةِ الْوَارِدَةُ عَلَيَّ تَكْتُبُ لِي أَمَانًا مِنْ دَهْرِي،  
 وَتُهْدِي [الْهُدُوءَ]<sup>(٢)</sup> إِلَى قَلْبِي، وَإِنْ كَانَتْ تَسْحَرُ عَقْلِي، وَتَثْقِلُ بِالْمِنْ ظَهْرِي؛ إِلَى أَنْ  
 وَافَقَ مَا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَشْفِ الْعُمَّةِ، وَحَلِّ الْعُقْدَةِ، وَتَيْسِيرِ الْمَسِيرِ، وَرَفْعِ عَوَاقِبِ  
 التَّعْسِيرِ، اشْتِمَالَ النِّظَامِ عَلَى مَا دَبَّرْتُهُ مِنْ تَأْلِيفِ الْكِتَابِ بِاسْمِهِ، وَمُشَارَفَةِ الْفَرَاغِ مِنْ  
 تَشْيِيدِ مَا أَسَّسْتُهُ بِرَسْمِهِ؛ رَاجِعًا أَنْ يُعِيرَهُ نَظْرَ التَّهْدِيبِ، وَيَأْمُرَ بِإِجَالَةِ قَلَمِ الْإِصْلَاحِ  
 فِيهِ، وَإِلْحَاقِ مَا يَرْفَعُ خَرْقَهُ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُ بِحَوَاشِيهِ. وَلَمَّا عَاوَدْتُ [رُؤَاقَ]<sup>(٣)</sup> الْعُرَّ  
 وَالْيُمْنِ مِنْ حَضْرَتِهِ، وَرَاجَعْتُ رُوحَ الْحَيَاةِ وَنَسِيمَ الْعَيْشِ بِخِدْمَتِهِ، وَجَاوَزْتُ بَحْرَ  
 الشَّرْفِ وَالْأَدَبِ مِنْ عَالِي مَجْلِسِهِ - أَدَامَ اللَّهُ [أَنْسَ]<sup>(٤)</sup> الْفَضْلَ بِهِ - فَتَحَ لِي إِقْبَالَهُ  
 رِتَاجَ<sup>(٥)</sup> التَّخْيِيرِ، وَأَزْهَرَ لِي قُرْبَهُ سِرَاجَ التَّبَصُّرِ، فِي اسْتِثْمَامِ الْكِتَابِ، وَتَقْرِيرِ  
 الْأَبْوَابِ. فَبَلَغْتُ بِهَا الثَّلَاثِينَ عَلَى مَهَلٍ وَرَوِيَّةٍ، وَضَمَّنْتُهَا مِنْ الْفُصُولِ مَا يُنَاقِزُ  
 سِتْمَانَةَ.

وقد اخترت لترجمته، وما أجعلُه عنوانَ معرفته، ما اختارَه، أدام الله توفيقَه  
 (من فقه اللغة) وشفعته (بسرّ العربية) ليكونَ اسماً يوافقُ مُسمّاءَ، ولفظاً يطابقُ معناه.  
 وعهدي به - أدام الله تأييده - يستحسنُ ما أنشدته لصديقه أبي الفتح علي بن محمد  
 البستي<sup>(٦)</sup> ورثه الله عمره، [من البسيط]:

(١) في بعض النسخ: الشطر الثاني فقط.

(٢) في بعض النسخ: «الهدوء».

(٣) في بعض النسخ: «رِوَاق» بالكسر أيضاً.

(٤) في بعض النسخ: «أَسْ».

(٥) الرتاج هو إغلاق الباب.

(٦) هو علي بن محمد بن الحسين البستي المنسوب إلى بست القرية من سجستان، وهو كاتب  
 وشاعر وله ديوان شعر مات سنة ٤٠٠ هـ.

لا تُنكرَنَّ إِذَا أَهْدَيْتُ نَحْوَكَ مِنْ عِلْمِكَ الْغُرِّ أَوْ آدَابِكَ النُّتْفَا  
 فَقَيِّمُ الْبَاغِ قَدْ يُهْدِي لِمَالِكِهِ بِرَسْمِ خِدْمَتِهِ مِنْ بَاغِهِ التُّحْفَا  
 وهكذا أقول له، بعد تقديم قول أبي الحسن بن طباطبا<sup>(١)</sup> فهو الأصل في معنى  
 ما سقتُ كلامي إليه [من الكامل]:

لا تُنكرَنَّ إهداءنا لك منطوقاً منك استفدنا حسنه ونظامه  
 فالله عز وجل يشكرُ فعل مَنْ يتلو عليه وحيه وكلامه  
 والله الموفق للصواب. وهذا حينُ سياقة الأبواب.

(١) هو محمد بن أحمد الحسيني العلوي، شاعر من الدرجة الرفيعة، وأكثره في الغزل والآداب وله كتاب عيار الشعر، توفي بأصبهان عام ٣٦٢ هـ.